في ١ تموز سنة ١٩٢١ وجعل مركزها في كسارا تحت ادارة الاب برلوتي ووكل الى النقابة البحرية الفرنسوية ان تتخذ لذلك محطات مختلفة تُرسل معلوماتها الخصوصية الى كسارا فيجمعها الاب برلوتي وينشرها في الدوائر الرسمية . امّا هذه المحطات فهي اليوم في رأس بيروت وفي دمشق ومسلمية وسيضاف اليها قريباً تدمر والسويداء. هذا ما عدا ثلاث محطات بحرية عُهد بها الى ثلث مراكب بحرية

فاخذ الاب برلوتي او احد رفقته مذ ذاك الحين يدوّن مجموع تلك المعلومات وينشرها اوراقاً مفردة وهي تجمع في اواخر كلّ سنة في دفتر خاصّ ويُضاف اليها افادات شتى يرجع اليها الاختصاصيون

فترى من هذا النظر الاجمالي انّ حبّة الخردل التي زُرعت في اواخر سنة ١٩٠٧ قد نمت وبسقت جذورها وامتدّت اغصانها حتى صارت تظلّل كافّة انحاء سورية . والامل معقود انّ معهد كسارا العلميّ سيجاري قريباً مراصد اوربّة ويجدي سورية فخراً جديداً في عالم العلم والمعارف

نوابغ المدرسة المارونية الاولى

بقلم حضرة الخوري بطرس غالب (تابع)

وفي الرسالة المذكورة امور تحتاج الى تفسير لا يسمح لنا المقام بها لئلا نشرد عن الموضوع بل يكفي ان ننبّه الى ما سبقنا فنوّهنا به عن سعي الامير فخر الدين بواسطة المطران جرجس مارون في عقد تحالف ثلاثي بينه وبين غراندوق فلورنسة والحبر الاعظم

ولما كان ظلم الحكّام قد ارهق النصارى والدروز والمسلمين انفسهم حتى ضاقت بهم الدنيا ذهبوا يطلبون الفرج حيثما لاحت لهم بارقةُ امل وقد فقه الامير فخر الدين المعني حالة الشعب الروحية فاستفاد بها لتخليص بلاده وانضمّ اليه سكان لبنان وجواره على اختلاف نزعاتهم فانشأ صِلاتٍ حبية مع اولياء الامور في الغرب

بواسطة الاكليروس الماروني والخازنيين على ان عمله العظيم لم يكلل بالنجاح بسبب حسد بعض الزعماء في البلاد وضعف البعض الآخر. فانه بعد ان زحف على بعلبك فطرابلس دون ان يدخلها عاد الى بلاد بشارة وجرت معركة بينه وبين علي بك وغيرهما من الامراء. ففاز فخر الدين وبنى الابراج والقلع في محلات مختلفة في بلاد صفد وبيروت وعظم شأنه. فخافت الدولة سوء المغبّة فجرّدت عليه حملةً بقيادة احمد باشا والي دمشق ونجدتها عمارة بحرية يرئسها جعفر باشا فحاول الامير المقاومة لكنه غلب على امره فالتجأ الى مغارة في اقليم جزين. واما عسكر الدولة فاجتاح البلاد ونهب وحرق اقليم الشوف واستولى على جميع الحصون. وقبض كوجك احمد على الامير فخر الدين في مغارته وذهب به الى الشام ظافراً ثم ارسله الى الاستانة حيث قُتل بعد مدة هو واولاده (١٦٣٥)

اما الشايخ الخازنيون فسافروا الى فلورنسة هرباً من نقمة الدولة ومكثوا هناك سنتين. فتصوّر حالة البلاد اثناء هذه القلاقل المتواترة واحكم في الصعوبات التي كانت تكتنف الرعية والراعي على ان الله الذي يُنتج من الشر خيراً قد سخّر الامير فخر الدين لتنفيذ غاياته الخلاصية فانه جعل في قلبه ميلًا الى النصارى وعطفاً على رؤسائهم وبتساهله بل بتنشيطه تمكن المرسلون من ان ينشئوا مراكز لهم في البلاد التي اخضعها لسلطته. وبناء على العلائق الودية التي كانت تربطهُ ببطريرك الموارنة والمطران جرجس عميرة كتب الحبر الاعظم اليهما في ٢٤ شباط ١٦٣٠ يوصيهما بالمرسلين الكبوشيين الذين كانوا يرغبون في السكنى في لبنان عالمًا ان الامير يصغي الى اقوالهما

وهاك ما كتبه الى المطران جرجس عميرة :

« ان الكنيسة الكبوشيين يقصدون بناء على دعوة محبتنا الابوية سورية وفلسطين ومصر تلك الاقطار التي سادت فيها قديمًا عوارف السماء ومجد المعجزات واصبحت الآن مكدونة تحت نير الخوارج وغاية هؤلاء الآباء ان يحفظوا النفوس المفتداة بدم المسيح في نعمة التبني ثم فان صعوبة السفر وعظم خطرهم يكسباهم دون ريب عطف اخوتكم التي لا نستطيع الّا ان نفرح بتعيين الكنيسة الرومانية هؤلاء العملة للجهة المركولة الى عنايتك . وقد الححنا شديدًا بالتوصية بهذا العمل السماوي على اخينا المحترم البطريرك الانطاكي. فنرغب في هذه الفرصة السانحة ان تُبذل مساعي اخوتك في هذا السبيل وعلى هذه المساعي تتلق بركة الكنيسة

وارتياح الخاطر الاعظم . وانك لتغنم ميلنا تماماً اذا اردت ان تتمتع بثمار عاطفة الغيرة جميع القائمين بمهام وظيفتهم الرسولية ولاسيما الكبوشيين الفرنسويين . واذ رومية تؤمل منك اتمام هذا الواجب الآمر به الله تعالى نمنح اخوتك بركتنا الابوية ونعدك بعنايتنا الخيرية »

على ان الكبوشيين لم يأتوا لبنان في تلك الاونة ليسكنوا فيه بل انشأوا مراكز في صيدا وبيروت حيث كانوا يقيمون والموارنة احتفالاتهم الدينية في كنيسة واحدة يفصل بينهم جدار لا غير وفي سنة ١٦٢٨ اتخذوا لهم محلاً في عينطورا ثم سكنوا في اهدن وبعد مدة انتقلوا الى حصرون ومنها الى طرابلس وفتحوا مدارس منها واحدة اكليريكية في بيروت لعموم الكاثوليك وللموارنة خصوصاً على ما روى الاب جوزف ده ترامبلاي l'Éminence Grise الذي كان قد عيّن رئيساً لرسالة الشرق في كتابه الى رئيس المجمع المقدس ١ تموز ١٦٢٦ على ان المدرسة لم تثبت طويلاً لان الاضطهاد الذي حلّ بالنصارى بعد اسر الامير وقتله خرّب كل هذه الاعمال واضطرّ الكبوشيين الى هجر لبنان الى مدة غير انهم ما لبثوا ان عادوا اليه

وفي سنة ١٦٣٢ التي توفي فيها المطران يوحنا حوشب الحصروني قدم لبنان عن طريق القسطنطينية ده شطويل (١ الرجل الفرنسي النبيل . وصل الى بيروت في ١١ ايلول ثم برحها في ١٢ منه الى حصرون فتعرّف الى خادم رعيتها وكان ضليعاً في اللغة السريانية فالحّ على ده شطويل ان يمكث عنده فابى لأنّ قصده من المجيء الى لبنان كان الانفراد في احد محابسه والتضلع من اللغتين السريانية والعربية . فلذا توجه الى اهدن كرسي المطران جرجس عميرة «اعلم كل اهل سورية» ليدرس عليه تينك اللغتين . فاستقبله المطران بكل ترحاب ومحبة واستبقاه في ديره اربعين يوماً . وقد دهش بذكائه النادر ورغب اليه ان يسكن في كرسيه بنية ان يحتفظ بهذا الرجل القديس قريباً منه

فرضي ده شطويل ان يقيم في اهدن واتخذ له مرشداً القس الياس ابن الحاج حنا خادم القرية راهب القديس انطونيوس فدرّبه الراهب على العيشة النسكية

ولما علم البطريرك يوحنا مخلوف بقدوم ده شطويل ومنزلته وتقواه اوفد من قبله اناساً ترحبوا به باسم البطريرك . ومثله فعل الاساقفة والاعيان ثم جاءه الى قنوبين

(١ انظر ملخص حياته في المشرق وفي النبذة التي وضعها الاب بطرس ساره البندوني

لتقديم واجب الاحترام ثم اختار السكنى في دير سيدة حوقا وبعد ذلك انتقل الى دير مار يعقوب الاحباش فدير مار سركيس اهدن الى ان سيم مرشده القس الياس اسقفاً على تلك القصبة فانتقل الى دير مار اليشع بشري الذي سلّمه البطريرك الى الكرمليين ليصلحوه ويسكنوا فيه وهناك انتقل الى راحة الابرار (١٦٤٤)

وكانت روابط الصداقة متوثقة بين هذا الحبيس الجليل والمطران جرجس عميرة فانهما كانا يتبادلان الاراء في الشؤون الهامة وفي المسائل العلمية وقد تنبأ ده شسطويل ان عميرة سيرتقي الى السدة البطريركية

وفي الواقع انتقل البطريرك يوحنا مخلوف الى راحة الابرار في قرية كفرزينا في زاوية طرابلس في ١٥ ك ١ ١٦٣٤ كما يتضح من مقدمة كتاب الكلندار الذي طبعه الخوري مخائيل سعاده الحصروني ومن كتابات المرسلين. وقد قدّم الدويهي خطأ تاريخ وفاة هذا البطريرك سنة اذ يوجد ايضاً تحرير من البطريرك يوحنا مخلوف الى السيد فوستو بولي مهردار البلاط الرسولي تاريخه ٢٤ ك ١ ١٦٣٣ . فلا يمكن ان يكون قد مات في ١٥ من ذلك الشهر

وكان البطريرك مخلوف لين الجانب كريم الاخلاق محباً للصلح كثير الصدقة اتخذ الطريقة النسكية في محبسة قزحيا ثم سامه البطريرك يوسف الرزي اسقفاً (١٦٠٣) وبعد وفاة الرزي اعتلى الكرسي البطريركي (١٦٠٨) فاقتنى له ارزاقاً كثيرة في جبة بشري وفي زاوية طرابلس وقد ذكرنا مجيئه الى مجدل معوش . وقد دبّر الطائفة بكل تقوى خمساً وعشرين سنة بتيقظ

٣ بطريركية جرجس عميرة

• وفي اليوم الثاني عشر لوفاة البطريرك مخلوف خلفه المطران جرجس عميرة برضى سادتنا المطارنة واخوتنا الكهنة وبقية المشايخ رغماً عنه وكان مستحقاً هذه الدرجة الشريفة من قديم لاجل فضائله وعلمه المشهور في بلاد الشرق والغرب(١)

ويُستدل ببعض الكتابات ان البطريرك عميرة سعى ان يمنع تدخل المشايخ والمقدمين وعموم الشعب في انتخاب البطريرك فلم يُرَقْ عمله الحزب المنحاز اليهم فرموه

١) راجع مقدمة الكلندار الذي طبعه في رومية الخوري مخائيل سعاده الحصروني ١٦٣٧

مقلّة الحكمة وعدم التدبير (١ ولا جرم ان يُنسب الى هذا البطريرك مثل تلك المساعي لانه رأى بعينه ما احتملهُ سالفه من الشدياق خاطر وغيره وما اتاه عاشينا بن شلهوب من ضروب العسف وخَبَرَ ان العلمانيين مهما كانت نياتهم حسنة يصعب ان يحكموا مستقيماً في الامور الروحية . وقد تحمل عادةً تدخُّل الاعيان في الانتخاب بعض المتطلبين على الالتجاء اليهم لنيل الرتب البيعية . ومعلوم ان هذا الامر مخالف لروح الكنيسة المقدسة وكان عميرة قد تشرّب هذا الروح في رومية واجتهد في بثه في بلاده فصعب الامر على المتنفذين فصوّبوا اليه سهامهم وسعوا في منع تثبيته ولا يبعد ان يكونوا كتبوا بهذا المعنى الى المطارنة الموارنة الثلاثة الذين كانوا في المدينة الابدية وهم سركيس الرزي (٢ وجرجس بن مارون الهدناني واسحق الشدراوي

ونرجح ان المطرانين سركيس الرزي واسحق الشدراوي لمّا بلغهما ان انتخاب عميرة جرى بدون اشتراك العلمانيين اشارا على البطريرك ان يتوسل الى طريقة تزيل سوء التفاهم الحاصل وتسكّن الحالة وذلك قبل ان يذهب الخوري مخائيل سعادة (٣ الحصروني الى رومية لانه ظاهر من التواريخ التي بيدنا ان موفد البطريرك لم يسافر

١) راجع في المشرق ما كتبه المطران جرجس حبقوق البشعلاني بهذا الشأن (١٩٠٢ ص ٦٨٩)

٢) سركيس الرزي بن موسى اخي البطريرك سركيس أرسل تلميذاً الى رومية . اوصى به وبسائر الطلبة عمه البطريرك الاب اليسانو ثم استدعاه في سنة ١٥٩٠ فانضوى الى رهبنة مار انطونيوس في قزحيا ثم جُعل رئيساً للحبسة وفي سنة ١٦٠٠ سامه عمه اسقفاً على دمشق ثم ارسله الى رومية لتقدمة الطاعة باسمه فاشتغل هناك بطبع الكتب الطقسية المارونية : كتاب القداس وخدمته والشحيم واعتنى خصيصاً بطبع التوراة العربية اللاتينية مات في رومية ١٦٣٨ ووقف مخلفاته لاسعاف الطائفة . وكان كثير الرحمة يحب رؤساء الكنيسة الرومانية . وهو المقصود بهذين البيتين من زجلية القس الياس عويضه

تبدي من الحبس سركيس مطران طاهر وقديس رزي اصله في التأسيس تابع امانة رومية حافظ وساعي بتوامين رتبة واعتقاد المؤمنين ومن اخيه لسنا مفترقين عن طوائف الشرقية

٣) الخوري مخائيل بن سعادة بن انطانيوس ابن الشدياق شمعون بن الشيخ فيد ابن عم المطران يوحنا الحوشبي ارسل الى رومية سنة ١٦٠٣ هو واسحق الشدراوي واخوه سركيس وبرحنا بن قرياقوس الحصروني اتم فيها دروسه الكهنوتية ثم سيم فيها كاهناً هو وسركيس الشدراوي وعادا الى الوطن . تعيّن لهُ محل اقامة في دير مار جرجس بقرقاشا ليعلم فيه «السرياني والعربي والفرنجي» بامر البطريرك ومشايخ الطائفة ثم جعله البطريرك يوحنا مخلوف خورياً ثم

من لبنان الّا بعد ١٥ حزيران من سنة ١٦٣٥ مع ان الحبر الاعظم العالم بفضيلة عميرة وعلمه وجدارته كان قد اثبته بطريركاً في ١٥ اذار ١٦٣٥ اي ثلاثة اشهر وعشرة ايام قبل سفر الخوري مخايل سعاده كما هو بيّن مما قاله الخوري مخايل المذكور في مقدمة الكلندار ومما ذكره المطران اسحق الشدراوي في مقدمة غراماطيقه المطبوع في رومية ١٦٣٦. ولو كان البطريرك لم يثبت قبل وصول الخوري المذكور لما كنا نفهم ما الداعي الى تأخره في رومية اكثر من سنتين يقضي وقته بتأليف الكتب وطبعها. واعلم ان ما ترخته رومية من جعل انتخاب البطريرك مخصوصاً بالمطارنة لم يتحقق تماماً الّا بعد مائة سنة بعد انعقاد المجمع اللبناني

هذا ما عنّ لنا لدن مراجعة ما لدينا من المعلومات عن انتخاب البطريرك جرجس عميرة والحق يقال انه تبوأ الكرسي البطريركي في زمن عصيب وصفه الخوري مخائيل الحصروني في مقدمة كتاب الكلندار الموما اليه قال: وما عدت قدرت ادير بالي كجاري عادتي الى تعليم وآداب الاولاد لاجل كثرة ديقة (ضيقة) ورزايا وضيم تلك الناحية (اي جبة بشري) ولما كان تاريخ سنة ١٦٣٣ التي تقابل ١٠٤٤ هجرية صارت وكبة بامر صلطان (sic) في البر والبحر على الامير فخر الدين بن معن الدرزي فانهزم وانحصر في مغارة جزين وصار على سكان البلاد ضيم عظيم من العساكر حتى كل واحد منا طفر في بلاد وتأسف البلاد على عدل وامان ومسادقة (صداقة) ابن معن مع الفلاح»

وقال مترجم حياة ده شطويل ان الرعية استحوذت على قلوب السكان بسبب غارة العسكر فتفرّقوا وانهزموا ورعاتهم الى الجبال العالية واختبأ البطريرك مخلوف

رئيس كهنة وفي سنة ١٦٣٥ ارسله البطريرك جرجس عميرة الى رومية ليقدم الطاعة للبابا اوربانوس الثامن ويقضي مصالح الطائفة فوصلها في ١٠ ت ١ ١٦٣٦ ونزل في بيت المطران اسحق الشدراوي واهتم جميعهم بقضاء مصالح البطريرك واجتهد الخوري مخايل مع الشدراوي في التراماطيق والزمه بطبعه ودفع نصف النفقات البالغة ١٥٠ غرشاً. سلفه البطريرك يوسف بن حليب على دير مار جرجس بقورقاشا وطرابلس وجعله مساعداً له سنة ١٦٤٦ في دير مار يوحنا حراش. ألف كتاب الكلندار وطبعه برومية ١٦٣٧. انتقل الى رحمة الله في طرابلس ١٦٦٩ فحملوه الى قنوبين ودفنوه في مغارة القديسة مارينا حسب وصيته. عنه قال القس الياس عويضه:

وطران مخايل حصروني رتب حساب بالكرشوني وبين فرق الماروني من طوائف الشرقية

في المناور ورافقهم في المرة الاولى الجيس ده شطويل ثم عاد الامن فاستتب برهة لكن الخوف ما عتم ان استحوذ على القلوب لما بلغ الاهالي ان الامير فخر الدين أسر وأرسل الى الاستانة . لكن البطريرك والمطارنة وده شطويل افرغوا جهدهم في تطيين الافكار ولم يدعوا سكان الجبة يهجرون قراهم مرة اخرى ولم يصب الجبل بأذى . غير ان هذا الخوف المتواصل كان يعرقل كل حركة ويثبط الهمم ويقف حاجزاً في سبيل الترقي والفلاح وقد بذلت الحكومة الفرنسية جهد المستطاع لتوقي لبنان والنصارى من هذه المصائب فامر الملك ١٦٣٤ سفيره بان يسعى لدى السلطان بالحصول على خط شريف الى باشا طرابلس يأمره به ان لا يزعج البطريرك الماروني وشعبه بهذه المظالم وان يلغي كل الضرائب المحدثة بسلطته الشخصية مكتفياً منها بالمال المفروض من قديم الزمان وان يترك الرهبان ورجال الاكليرس وشأنهم طبقاً لاوامر السلاطين . وأمر السفير ان يأخذ نسختين من هذه الاوامر تحفظ واحدة منها عند البطريرك وتسلم الاخرى الى باشا طرابلس ثم ان يفيد الملك عما يكون من تلك التدابير

ولما تبوأ البطريرك عميرة الكرسي البطريركي طلب من الحبر الاعظم ان يثبته في وظيفته كعادة اسلافه فارسل اليه اوربانوس الثامن الذي كان يعرفه حق المعرفة البراءة التي نعربها لما فيها من الالماع الى الحوادث التاريخية التي جرت في تلك الايام . وتاريخ البراءة ٥ آذار ١٦٣٥ لم يذكر فيها اسم موفد البطريرك خلافاً للعادات السابقة فرجحنا ان البطريرك ارسل عرائض الطلب رأساً الى الحبر الاعظم دون توسط وسيط . قال قداسته :

« اوربانوس الثامن عبد عبيد الله الى الاخ المحترم جرجس عميرة بطريرك موارنة جبل لبنان الملقب بالانطاكي رئيس اساقفة احدن السابق السلام والبركة الرسولية

« ان عناية الحبر الروماني الذي اقامه الراعي السماوي واسقف النفوس رئيساً على جميع الكنائس وسلمه ملء السلطة يتطلب منه اهتمامه بحالة اي كنيسة كانت وسهره عليها ومراقبته اياها ان يتدبر امورها باجتهاد بطريقة الترقية او النقل حسبما تقتضيه احوال الاشخاص والزمان والمكان وفائدة الكنائس نفسها فيعنى بان يولي على كل منها راعٍ كفؤ . او يرسل اليها خادم حكيم يرشد الشعب الموكول الى عنايته في طريق الخلاص

ويهذبه ولا يكتفي بادارة اموال الكنيسة بنوع مفيد بل يسعى بطرق شتى الى زيادتها

«ولمّا كنا قد احتفظنا الآن لامرنا وتدبيرنا الشخصية للكنائس الفارغة كافة والتي ستفرغ فيما بعد مقرّرين انه باطل ولغو ما يمكن ان يحدث من هذا القبيل مخالفاً لما سبقنا وفرضناه ايًّا كان الفاعل وباي سلطة فعل سواء صدر فعله عن معرفة او عن جهل

«وبما ان الكنيسة البطريركية المارونية في جبل لبنان المعروفة بالانطاكية التي كان يرئسها في حياته الطيب الذكر يوحنا بطريرك الطائفة المذكورة قد اصبحت من مدة محرومة تعزية راعيها بوفاة يوحنا المذكور الذي قضى نحبه بعيداً عن البلاط الروماني فنحن بغية الوصول الى تعيين سريع مناسب لهذه الكنيسة البطريركية تعييناً لم يستطع ولن يستطيع احد سوانا ان يتدخّل فيه في هذه المرّة بسبب المنع الناتج عن احتفاظنا بهذا الامر وقرارنا السابقَين كي لا تعرّض هذه الكنيسة لاضرار فراغ مستطيل قد اعملنا الرويّة باحثين بتدقيق ابوي وكلّي وبعد المداولة مع اخواننا الكرادلة لتولية شخص لائق ومفيد على هذه الكنيسة البطريركية فوجهنا اخيراً لحاظنا اليك انت رئيس اساقفة اهدن بعد ان تروّينا شديد التروّي في ما تقدّم حالَيك ومعتبرينك محلولاً من وثاق اي حرم او منع او حكم كنسي او تأديب او قصاص صادر من الناموس او من صاحب سلطة باي علّة او فرصة ان كنت معتقلاً بها باي نوع كان

«وذلك قصد ان ينال قرارنا مفعوله راننا بعد مشورة اخواننا كرادلة الكنيسة الرومانية المقدسة نخلّك بمل سلطاننا الرسولي انت الذي انتخبه اخواننا المحترمون مطارنة واساقفة الطائفة المارونية واولادنا الاعزاء اكليرسها وشعبها على مقتضى عادات تلك الطائفة من الروابط التي تقيّدك بكنيسة اهدن التي ترئسها وتنتقلك بعد التروّي وبمل سلطاننا الى الكنيسة البطريركية المذكورة ونوليك عليها بطريركاً وراعياً مقلّدينك تماماً رعاية وتدبير وادارة هذه الكنيسة البطريركية في شؤونها الروحية والزمنية ومثبتين انتخابك كما هو مذكور ومعوّضين عن نقص المعاملات المستصعب تقديم اسانيدها بسبب بعد مسافة البلدان ومعلنين ان كرسي اهدن قد فرغ بسبب هذا النقل والتولية واثقين ان الذي يسبغ النعم ويجزل الثواب سيرشدك

في اعمالك لتدبّر الكنيسة البطريركية في عهد ولايتك السعيدة تدبيراً مفيداً ناجحاً وتزداد ثمارها الشهيّة روحياً وزمنياً. واذ قبلتَ باخلاص ودون تردُّد نير السيد المسيح الموضوع على كتفك ابذلْ جهدك في ان تقوم بامانة وحكمة باعباء مهمّة العناية والتدبير المذكورين حتى تغتبط الكنيسة البطريركية بأن مقاليدها قد أُلقيت الى يد مدبّر مدرك ومدير مجتهد يأتي تدبيره بالثمار وتكون انت اهلاً لتغنم عدا الثواب الدائم بركتنا وبركة الكرسي البطريركي المذكور والنعم الغزيرة السابغة

« فنريد اذاً ان تُبرز في اول فرصة اقرارك بالايمان بمقتضى الصورة التي وضعها الكرسي الرسولي للشرقيين، بين يدي اخينا المحترم المطران او الاسقف الاقرب اليك. ويجب عليك دون مراجعة ان ترسل الى الكرسي الرسولي في خلال السنة التابعة اقرارك كما ترى هذا نصه مكتوباً بدون ادنى تعديل في خط رسمي اصلي توقّع عليه انت والمطران او الاسقف الاقرب كما ذكرنا. ولا يمكنك مطلقاً ان تستعمل درع الرئاسة قبل ان تبرز هذا الاقرار »

وقد خطر لنا بعد مطالعة هذه البراءة ان الاجتماع الذي عقد في ١٥ حزيران كان القصد منهُ ابراز صورة الايمان امام المطارنة والاكليرس والشعب وارسالها الى رومية كما هو مفروض على البطاركة والاساقفة عموماً وليس استرضاء الذين لم يَرُقْهم انتخاب عميرة والى هذا يلمّح الخوري مخائيل سعاده بطلبه من الله في اخر مقدمة كتابه «ان يزيل العناد والانشقاق بين الرؤساء»

واخذ عميرة فورَ انتخابه رغم كبر سنه يسوس طائفته بما كان قد اشتهر به من المحبة والعلم والفطنة « فانه سقى شعبه الذي كان قديماً كاليتيم الذي لا امَّ لهُ يطلب ان يقتات ولو بحليب الغرباء عنه وعن لغته ولم يعطَ لهُ ذاك فاغاثه اخيراً ابن عميرة وتلامذة المدرسة الرومانية ... فاقتبل الشعب الماروني عند ذاك الغذاء الكامل والاهتداء الفاضل الذي يكفيهم ويفيض على من في جوارهم » (الدويهي تاريخ الازمنة) وكانت احوال لبنان الزمنية تعيسة. قال المطران جرجس حبقوق البشعلاني : « انهُ بعد جلوس عميرة بقليل على الكرسي البطريركي صار عليهِ ضنك من جانب دولة طرابلس وكان متولّي ضبط ايالة طرابلس محمد باشا الارنوطي (الارناؤوطي) وكان كاخية مصطفى باشا ابنَ الصهيوني فطلبوا البطريرك ابن عميرة يحضر امامهم وعند ما

حضر في صراية طرابلس صار بينه وبين الكاخية حديث فسقط بعثرة منه(١ . . . فلاجل تلك الكلمة حطّ عليه ابن الصهيوني ولم يزل يفتح له مناقب مثلاً ويكلفه حتى بلّصهُ بثلاثة عشر الف غرش أسدية وكل هذه الخسارة والبلص ما اعتلمنا ولا سمعنا انهُ كلف المطارين ولا اعيان الشعب من ذلك درهم الفرد بل من مال الكرسي تكلّف ذلك (١

والبطريرك بن عميرة لاجل ازدراه في الرهبان والعشيرة التي كانت بدير الكرسي فاوّا من حواليه ما فضل الّا كاهن يسمّى رزق الله من عين الباردة من بلاد عكّار وراهب لا غير . وكان المطران عبدالله (٢ المتوكل على زمان البطرك حنا بن مخلوف باقي في الحياة فضيّق على ابن عميرة بسبب الخزينة فما امكنه ان يظهر ذلك للبطرك ابن عميرة لانهُ كان غير اهلها من عجزه . كانوا شمامسته يتعانوا الرباب وآلة الطرب لاجل ذلك المطران المذكور اخفى المال عن البطرك وجاب القس سمعان التولاوي وامّتهُ على ذلك وقال لهُ : «امانة برقبتك لا تظهر لاحد هذا السر الّا بعد موت هذا البطرك » اعني بهِ ابن عميرة

وقد ذكرنا ما كتبه خصوم عميرة تتمة للفائدة غير متتنعين بانه استوجب هذا اللوم

واعلم انهُ قبل موت البطريرك مخلوف اي في ١٨ ايلول ١٦٣٤ كان المجمع المقدس قد قرر انشاء سبع مدارس للموارنة اجابة لرغبة البطريرك والمطارنة في الامكنة التي ينتقيها البطريرك وفرض ان تُدرّس فيها اللغات العربية والسريانيّة واللاتينيّة وان يزورها نائب البطريرك او الاساقفة ويكون الاساتذة فيها من تلامذة المدرسة الرومانيّة وتعيّن ٣٠٠ ريال يرسلها المجمع المقدس لتوزّع على هذه المدارس وان تأخر وصولها ينقدها المؤتمنين حارسُ الاراضي المقدسة . والقصد من تلك المدارس تعميم العلم في لبنان والتهذيب الديني وتسهيل اقتباسهما صوناً للناشئة من

---

١) ليس في ذلك ما يلام عليه البطريرك الذي فضل ان ينفق من مال الكرسي ولا يحمل الشعب وقد اشار هو الى ذلك في كتابته الى رئيس الرهبنة البسوعية استاذه السابق كما سيرد

٢) المطران عبد الله الهدناني سيم على قنوبين ١٦٠٢ توفاه الله سنة ١٦٣٨ (١٣ ت ٢) وكان ذا رأي حازم اتقى للكرسي ارزاقاً كثيرة

خداع المراطقة والحق يقال ان عناية الكرسي الروماني بالطائفة المارونيّة لساعدتها على حفظ وديعة الايمان والتمذهب البيعي الجديرة بكل تعظيم وشكر (١

اما اسباب القلق في لبنان فكانت الخلاف بين الامير عساف وخلفائه بيت حماده وبين الامير علي السيفلي والامير علي بن علم الدين الدرزي وحسن اغا كاخية قاسم باشا حاكم طرابلس. حرق الامير عساف المنيطرة ثم غزا الامير علي السيفلي في إعّال على نهر رشعين فغلب الامير عساف والحسمادية وتولى الامير علي طرابلس وجبيل والبترون. «وتوالي الحكّام وتطاحن الاحزاب كثر الظلم وضوعفت الاموال الاميرية وقبض على الرابيط (النسّاك) والرؤساء حتى يقرّوا على رزق بيت معن وبيت الخازن وغيرهم وكان القس حنا بن بهينا الاجباني مترئساً على دير مار مارون (؟ ؟ ؟) في قرية كفرحي فوشى به اهل بقسميًا عند ابن سيفا فقبض عليه واهانه وكلّفه فوق طاقته فسارتحل عن الدير ومن ذلك الوقت خرب الدير وخربت بقسميًا وكان اهلها ملكيّة» (الدويهي تاريخ الازمنة ١٦٣٤)

وسنة ١٦٣٥ ولى مصطفى باشا حاكم طرابلس جبةً بشري الشيخ ابا كرم يعقوب ابن الريس الياس الحدثي والشيخ ابا جبرائيل يوسف الهدناني فارتاحت الرعية بعض الراحة. ولما امر السلطان حاكم طرابلس بالزحف على العجم فوّض محافظة البرّ الى الامير عساف فصعب الامر على الامير علي فاغار على قرية اميون ونهبها وبدّد اغلالها (اذار ١٦٣٥) لكن الامير عساف التقى به في قرية غرقية في الزاوية وغلبه ففرّ الى بلاد الدروز ثم اتى بنجدة منها لكنه كُسِر شر كسرة مرّة اخرى في قرية اعتاز من بلاد الحصن. فسبّبت هذه الاحوال قلقاً عظيماً في البلاد وتحمّل الاهالي مظالم كثيرة

وهرب الى فلورنسة الشيخ ابو نادر الخازن وابنه واخوه ابو خاطر الذين كان يثق بهم الامير فخر الدين ومكثوا فيها سنتين الى ان راقت الاحوال. وانتقل في رومية الى راحة الابرار القس نصرالله شلق العاقوري (٢ واضطرّ البطريرك جرجس

---

١) سنذكر شيئاً عن المدارس في لبنان في مقال مخصوص ان شاء الله

٢) العاقوري نصرالله شلق من العاقورة تلميذ مدرسة رومية سيم كاهناً واقام في اوربة. اعتنى مع جبرائيل الصهيوني بطبع المزامير بالعربية واللاتينية ١٦١٦ والف كتاب مبادئ اللغة العربية وطبعه في رومية ايضاً ١٦٢٢ وكتاب مدخل اللغة العربية ١٦٢٢ وكتاب رتب الكنيسة

عميرة الى بيع بعض ارزاق الكرسي لدفع اموال الظلم. ومما باعه بيت في بيروت عثرنا على نسخة صك بيعه وهذه حرفيتها :

« باع الحقير في وزماء الكهنة بسبب الوكالة عن ذمة البطريرك جرجس بن عميرة المكرم بطرك دير قنوبين البيت الذي في مدينة بيروت الموقوف الى قنوبين الى نعمه بن سلامه وشهرته تنبي عن حدوده بثمن قدره ثلاثون غرشاً من الغروش الكبار الكلابية (ابو كلب) وقبض المذكور البائع من المذكور المشتري القبض الشرعي في المشاهدة والحضرة. والبيع ما صار الّا لانه عادم النفع وهو خراب سقفه بارضه وعلى هذا الامر وقع التحرير في عشرين يوم من شهر كانون الاول من شهور سنة ١٦٣٥. شهود. الخوري يوحنا من قرية ايطو. شهد بذلك ابرهيم بن القيالة. الحاج داود بن ميخا. متوق بن الحاج صوما. جرجس بن الخوري. الشماس سليمان صبي (خادم) البطرك والطران » (١

اما المطران البائع فهو المطران يوسف حليب العاقوري مطران صيدا

ولم ينسَ البطريرك معلميه ابّان اشغاله الكثيرة بل كان يراسلهم ويطلب صلواتهم ومساعداتهم

وقد نشر المرحوم الاب رباط اليسوعي رسالة لهذا البطريرك رجيها الى استاذه الاب موتسيو ڤيتالاسكي الذي كان انتُخب رئيساً عاماً لرهبانته خلفاً للاب كلوديوس اكوافيفا تاريخها ٨ نيسان ١٦٣٦ جاء فيها ما يدلّ على ان البطريرك كان قد كتب قبلاً الى الرئيس العام المذكور مع مندوبيه يخبره بانه اختير بطريركاً. واليك الآن ترجمة هذه الرسالة المعربة عن اتضاع البطريرك وتعلقه المتين بمعلّميه واقراره بفضلهم :

« قد قبلت بكل سرور كتابك العزيز جداً المُعرب عن صحتك فاشكر ابوتك لمحبتها ومودتها نحو شخصي وطائفتي. اما الرغبة في ارسال احداث لتهذيبهم في

الرومانية وترجم سفر ايوب من السريانية الى اللاتينية. وكان ذا رأي سديد اطرأ غيرته البابا اينوشنسيوس العاشر في بناءة انشاء مدرسة رافق التي خصّص لها ما تركه من ثروة وكانت وافرة على ان هذه المدرسة لم تثبت طويلاً فنُقل تلامذتها (١٦٦٦) الى المدرسة المارونية في رومية. انتقل الخوري نصرالله الى راحة الصالحين سنة ١٦٣٥ في شهر آب في مدينة رومية. قال عنه القس الياس الزيري في زجليته :

الاب نصرالله خوري هو ابن شاق العاقوري كان فهيماً وصاحب شوري خلف مدرسة بكلية

١) في هذا الصك ما ينفي قول الذين زعموا ان جرجس عميرة لم ينتخب بطريركاً الا في ٢٧ ك ١ ١٦٣٥

مدرستنا في رومية فلا تنقضي . ومن جهة الاب رئيس المدرسة فانه لم يرسل حسب المعتاد اجرة السفر ونفقاته لارسال هؤلاء الاحداث فنحن لا يتيسّر لنا ان نقوم بما يقتضيه هذا الامر . اعتقد ان مندوبينا قد قدموا رسائلنا الى ابوتكم الكلي احترامها واخبروكم عن تخلُّفنا (على الكرسي البطريركي) بعد موت البطريرك يوحنا الطيب الذكر وكم حلّ بعد موته وانتخاب البطريرك الجديد من الظلم والعرنيات والباس والاضرار الفادحة . فارجو من ابوتكم ان تتفضلوا وتعرضوا لمقداسته وللمجمع المقدس احتياجنا وفقرنا وعن المال الوافر الذي دُفع ربّى الذي سيكون منه فرصة لخراب هذا الكرسي المسكين . اني اخاطب ابوتكم سرًّا وبكل ثقة بسبب المودّة التي اشعر بها نحوكم واشعر بها دائمًا كما هو واجب نحو استاذي الذي اعزُّهُ كثيرًا وله معروف جزيل عليّ . وابوتكم تتذكر اني انتُخبت من غير استحقاق مني لهذا المقام البطريركي ضد ارادتي كاول ثمرة لهذه المدرسة (الرومانية) في هذه الوظيفة وكثرة اتعاب اباء الرهبنة اليسوعية وهي بالحقيقة «ثمرة شديدة المرارة» . .

ثم يعرب البطريرك عن تعلقه بالرهبنة ويطلب مساعدتها الادبية اي توسط الاب العام لدى قداسته ويرجو اعتناءه المتواصل بالمدرسة ويختم طالبًا صلواته ودعاءه

(لها بقيّة)

شهداء المجمع الخلقيدوني في التاريخ

للاب لويس شيخو اليسوعي

سألنا احد افاضل كهنة السريان ماذا ورد في التاريخ عن الشهداء الذين تكرمهم الطائفة المارونيّة تحت اسم تلامذة القديس مارون في غاية شهر تموز ؟

نجيب على ذلك انّ ذكر هؤلاء الشهداء مدوّن في سنكسار الكنيسة الرومانيّة في ٣١ تموز على هذه الصورة : «في سوريّة تذكار الشهداء القديسين الثلثمائة والخمسين الذين قتلهم الهراطقة لدفاعهم عن المجمع الخلقيدونيّ»

وجاء في السنكسار الارونيّ الذي ألّفهُ الطيّب الذكر السيد بطرس مخلوف